أخبار وأفكار

المرحوم الاستاذ نخلة زريق

فجع مجمعنا بفقد عضو من اعضاء الشرف فيه كان معروفاً بآدابه واخلاقه وغيرته على اللغة فاقترحنا على صديقه صاحب التوقيع ان يكتب كلمة عنه فلبى فنشكر له حفاوته به . وهذا ما كتبه الينا :

أرى من الواجب علي وقد عاشرت المرحوم سنة كاملة في تعريب كتب وتهذيب اخرى ان اقضي حقه بعد وفاته ولقد سعيت ان استقصي آثاره من محبيه في القدس فكان منهم الوعد الجميل ولكن لم انل الى اليوم شيئاً . فقاوضت الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع لما كان في وطنه زحلة فارسل اليّ ترجمته منقولة من كتابه (الدر الثمين في تراجم ادباء القرن العشرين) فضممتها الى ما عرفته عن الفقيد وكتبت هذه العجالة : كان المرحوم عربياً بحتاً في اصله وفي لغته وفي زيه وفي وطنيته . واما الاصل فهو كما ذكر في (الدر الثمين) الموما اليه من اسرة زريق القديمة في سوريا وهي تنتمي الى عرب الزريقات الذين يخيمون اليوم في الكرك وضواحيها والمعروفين في ثغور سورية ولا سيما طرابلس وما اليها منذ القرن السادس للهجرة . وهي فرعان مسلم ومسيحي . فمن المسيحي بطون لاسرة زريق في طرابلس ومرسين . ونشأ منهم نفذ في بيروت في محلة مزرعة العرب (ولعلها نسبت اليهم) عرفوا بالبسالة ومن هؤلاء تسلسل المترجم :

هو نخله بن جرجس زريق ولد في بيروت نحو سنة ١٨٥٩ م . ودرس في مدارس طائفته الارثذكسية فاتقن العربية وألمّ بالانكليزية وحضر مجالس كبار رجال النهضة الحديثة في بيروت فنبغ في لغته التي كان ضليعاً فيها قل من يباريه حافظاً للقرآن والحديث واشعار العرب وامثالها وحوادثها لا يمر به كلمة لغوية الاّ ويستشهد لها اما بآية أو حديث أو شعر أو مثل . وله رسائل كثيرة عند اخوانه وهي في اسلوب عربي متين . وتركيب رصين لا يرى فيها لكنة اعجمي ولا لحن عامي . ولو جاز ان اذكر شيئاً مما كتب

لاخوانه الذين لم يزالوا أحياء يرزقون لذكرت له من البدائع فنوناً . ولم أر له مع الاسف من شعره شيئًا . لأن له نظماً رشيقًا .

اما زيه فكان العربي لا يستعيض عنه ولو باحسن الازياء مع انه نشأ في بيروت حيث تكثر الازياء الغربية وعاشر الاوربيين مدة طويلة ولم يغير ذلك شيئًا من مبدإه .

ولقد مال الى اتقان فن التدريس واشتهر باسلوبه المفيد وقضى نحو ربع قرن في الكلية الانكليزية المخصصة لتدريس المعلمين في القدس محتكاً باربابها الرافعين نائلاً لديهم منزلة عالية فتخرج عليه مئات هم اليوم من صفوة الادباء والوجهاء والعمال فقام بعمله احسن قيام .

ولما كانت الحرب الكبرى أبعد الى دمشق و بقي فيها الى زمن الاحتلال الاول فانتخب عضواً في لجنة التهذيب للكتب العسكرية في المدرسة الحربية وكان زميلنا فيها الشيخ عبد القادر المبارك . فعرفت الفقيد ملتفاً بعباءته لم يهمه ان يكون بين يدي رئيس الاركان الحربية او بين يدي القائد الاعظم فلا يخرج عن عباءته نخدم عمله هذا بكل اجتهاد وحنكة و بعد سنة ترك العمل وعاد الى القدس مدرّسًا حيث كان فاسفنا لبعده كل الاسف .

اما الوطنية العربية فكان فيها من رجال العقل والحكمة لا من رجال الخيال والتهور . وكان قليل الكلام فيها حتى اذا آنس من بعضهم كتماناً ابدى آراءه الحكيمة فيها . واما الدين فكان متصلباً فيه لكنه غير متعصب . فلا ينظر الى الاديان الاخرى الا نظر حرمة . وقد كان براً بخلق الله على اختلاف نحلهم ونحلهم . يحب ان يعاون حتى اعداءه . ويحسن حتى الى من اساء اليه .

وهكذا صرف حياته عالماً عاملاً الى ان توفي عازباً غريباً في القدس الشريف بداء المعدة الذي كان مبتلي به وذلك في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ عن نحو ٦٢ سنة انفقها في خدمة العلم والمدارس والتربية والمطالعة ودفن فيها بموكب مهيب وحفلة تليق به وقد اسف عليه كل من عرفه لما اشتهر به بينهم من الآداب الرائعة . وكان طويل القامة رقيق الجسم اشقر اللون قد وخطه شيب رحمه الله وعزى الادب بفقده .

دمشق : رشيد بقدونس